بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ، فَقَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَسَلَّمَ وَقَالَ: أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيتَهُ»

ويَأتيه ﷺ الوحي من السماء ليبين له الطريقة التي يُتلى بها كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فروى أحمد في المسند عن عبد الرحمن بن أبي بكرة، عن أبيه، عن النبي ﷺ قال :«أَتَانِي جِبْرِيلُ، وَمِيكَائِيلُ، فَقَالَ جِبْرِيلُ: اقْرَأِ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ، فَقَالَ مِيكَائِيلُ: اسْتَزِدْهُ، قَالَ: اقْرَأْهُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، كُلُّهَا شَافٍ كَافٍ، مَا لَمْ تُخْتَمْ آيَةُ رَحْمَةٍ بِعَذَابٍ، أَوْ آيَةُ عَذَابٍ بِرَحْمَةٍ»

والأمثلة على ذلك تطول، ولكنها تبين وبصدق قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ [النجم]، فما كان ﷺ ليعمل عملاً، أو يقول قولاً، أو يُقر أمراً دون وحي من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ومما يدلنا على أن السنة وحي من الله إخبار النبي ﷺ عن أمور مستقبلية وقعت بعد وفاته ﷺ، مع اعتقادنا بأن النبي ﷺ لا يعلم الغيب، وإنما هو إخبار من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى له عنها، ومن ذلك :

- إخباره ﷺ عن خروج الخوارج وصفتهم، وقد وقع الأمر كما أخبر ﷺ.

- إخباره بما سيقع لعمر ولعثمان رضي الله عنهما من القتل، وقد وقع كما أخبر ﷺ، فروى أحمد وغيره عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ:«كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ، لَوْ كَانَ عِنْدَنَا مَنْ يُحَدِّثُنَا؟» ... قَالَتْ: فَإِذَا عُثْمَانُ يَسْتَأْذِنُ، فَأَذِنَ لَهُ، فَدَخَلَ، فَنَاجَاهُ النَّبِيُّ ﷺ طَوِيلًا، ثُمَّ قَالَ: «يَا عُثْمَانُ إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ مُقَمِّصُكَ قَمِيصًا، فَإِنْ أَرَادَكَ الْمُنَافِقُونَ عَلَى أَنْ تَخْلَعَهُ، فَلَا تَخْلَعْهُ لَهُمْ، وَلَا كَرَامَةَ » يَقُولُهَا: لَهُ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا».

- إخباره بما سيقع من أشراط الساعة الصغرى، والتي قد وقعت وتحققت بعد وفاته ﷺ كفتح بيت المقدس، وولادة الأمة ربتها، والتطاول في البنيان، واتباع سنن الأمم الماضية.

وغير ذلك كثير يصعب استقصاؤه في مقال واحد.

وكل ما ذكرت لك أخي القارئ يبين لك أن السنة النبوية من أقوال وأعمال وتقريرات إنما هي بوحي من الله تعالى، كما قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ﴾ [الأنعام:٥٠].

ويتبين لك أنها مصدر من مصادر التشريع، لا يمكن الاستغناء عنها بحال، وقد بين الله في كتابه مكانتها في بيان القرآن فقال: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل:٤٤]، فسمى الله السنة ذكرا، وبين المقصد منها وهو بيان ما أنزله الله إلى الناس من القرآن الكريم.

فإذا أردنا تطبيق الإسلام وفهم أحكام القرآن فيتعين علينا العناية بالمصدر الثاني من مصادر التشريع وهو السنة النبوية، لأنها وحي من الله تعالى لنبيه ﷺ.

عن حسان بن عطية رحمه الله (توفي عام ٣١٠ هـ) : « كان جبريل ينزل على النبي ﷺ بالسنة كما ينزل عليه بالقرآن» [رواه ابن المبارك في الزهد، والمروزي في السنة].

وفقنا الله جميعا لما يحبه ويرضاه .

الدفاع عن السنة

الجزء الثاني

السنة النبوية وحي من الله

الشيخ
د. سعد بن سالم الدرمكي

@baynoonanet @baynoonanetUAE
www.baynoona.net

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد

فمن نعمة الله على البشرية أن أرسل إليها النبي محمداً ﷺ هادياً ومبشراً ونذيراً، ليدلهم على ربهم وخالقهم فيوحدوه بالعبادة، ويعرفهم الطريق الموصل إليه، والجزاء الذي يكون للطائعين، والعقاب المتوعد به المخالفين، قَالَ تَعَالَى: ﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ١٥١ ﴾ [البقرة].

ولأجل تحقيق هذا المقصد أيّد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نبيه بالوحي، وأنزل عليه القرآن الكريم، الذي هو كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، بواسطة جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وجعل هذا الكتاب هادياً لأفضل الطرق وأقومها ، فقال سبحانه عنه : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا ٩ ﴾ [الإسراء] وقال سبحانه : ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ١ ﴾[إبراهيم] .

وتعهد الله بحفظ هذا القرآن من التحريف والتبديل والتغيير، فقال سبحانه : ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩ ﴾ [الحجر].

وأوكل الله أمر بيان القرآن وتبليغه للنبي ﷺ فقال سبحانه: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٧ ﴾ [المائدة].

فبلّغ النبي ﷺ القرآن كما نزل، وأمر بكتابته وحث على حفظه في الصدور، كما بيّن ﷺ الأحكام والعقائد التي نزلت فيه بأقواله وأفعاله وتقريراته، متبعا في ذلك الوحي الإلهي، لا يحيد عنه ولا يخالفه.

فأنزل الله في القرآن قوله تعالى : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن

رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥ ﴾ [البقرة] .

وينزل جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ على النبي ﷺ ويأتيه بصورة بشر ليسأله عن مراتب الدين الثلاث، الإسلام والإيمان والإحسان، وعن علامات الساعة ووقتها، وليبين للصحابة وللمسلمين أن ما ورد في الآية وفي غيرها من مثلها هو من أركان الإيمان بالله، والحديث رواه مسلم في صحيحه.

وأنزل الله في كتابه الأمر الرباني : ﴿ فَإِذَا ٱطۡمَأۡنَنتُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ﴾ [النساء: ١٠٣] وقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ٧٨ ﴾ [الإسراء].

ثم يَنزل الوحي على النبي ﷺ ليبين له أوقات الصلوات الخمس في يومين متتاليين، فروى الترمذي وأبو داود عن ابن عباس رضي الله عنهما أنّ النبي ﷺ قال : « أَمَّنِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَ الْبَيْتِ مَرَّتَيْنِ...».

ويُنزل الله سبحانه وتعالى الأمر بالصلاة في القرآن الكريم، فقال سبحانه: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ٤٣ ﴾ [البقرة]

ويَنزل الوحي على النبي ﷺ مبيناً أحكام هذه الصلاة وصفتها وشرائطها ومبطلاتها، فروى النسائي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه «أن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ أتى النبي ﷺ يعلمه مواقيت الصلاة فتقدم جبريل ورسول الله ﷺ خلفه والناس خلف رسول الله ﷺ ...» الحديث ، ولذلك قال ﷺ: « صلوا كما رأيتموني أصلي» رواه البخاري.

ويصلي النبي صلى الله عليه وسلم ذات مرة وهو لابس نعليه، وفي أثناء الصلاة خلعهما، فلما قضيت الصلاة قال ﷺ: «إِنَّ جِبْرِيلَ ﷺ أَتَانِي فَأَخْبَرَنِي أَنَّ فِيهِمَا قَذَرًا ، إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَلْيَنْظُرْ فَإِنْ

رَأَى فِي نَعْلَيْهِ قَذَرًا أَوْ أَذًى فَلْيَمْسَحْهُ وَلْيُصَلِّ فِيهِمَا».

ويُنزل الله الأمر بالحج في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران:٩٧].

ويَنزل الوحي على النبي ﷺ يبين له مناسك الحج، ومن ذلك ما رواه البخاري عن عمر رضي الله عنه قال سمعت النبيّ ﷺ بوادي العقيق يقول: «أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتٍ مِنْ رَبِّي فَقَالَ صَلِّ فِي هَذَا الْوَادِي الْمُبَارَكِ وَقُلْ عُمْرَةً فِي حَجَّةٍ».

وفي أمر التلبية ورفع الصوت قال ﷺ : « أَتَانِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: مُرْ أَصْحَابَكَ فَلْيَرْفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالْإِهْلَالِ» رواه أحمد، ولذلك قال ﷺ للجموع الغفيرة التي حجت معه : «لِتَأْخُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ» رواه مسلم.

ويُنزل الله سبحانه وتعالى تحريم الخمر في القرآن الكريم فقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ٩١ ﴾[المائدة].

ويَنزل جبريل على النبي ﷺ مبيناً عظيم إثم شارب الخمر، وأنه مطرود من رحمة الله، فروى الإمام أحمد عن النبي ﷺأنه قال : « أَتَانِي جِبْرِيلُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ لَعَنَ الْخَمْرَ، وَعَاصِرَهَا، وَمُعْتَصِرَهَا، وَشَارِبَهَا، وَحَامِلَهَا، وَالْمَحْمُولَةَ إِلَيْهِ، وَبَائِعَهَا، وَمُبْتَاعَهَا، وَسَاقِيَهَا، وَمُسْتَقِيَهَا».

ويأتيه ﷺ الوحي من السماء ليُعلمه بفضائل بعض سور القرآن، ومن ذلك ما رواه مسلم في صحيحه عن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ:«بَيْنَمَا جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: هَذَا